بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وآل محمد

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة وليا وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا

هناك دعاء يروى عن أكثر من إمام، الإمام الصادق (ع) والإمام الرضا (ع) وكذلك عن الإمام الحسين (ع) أنهم كانوا يدعون به، يروى عن علي بن الحسين (ع): لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين (ع) يوم عاشوراء رفع يديه وقال: **(اللهم أنت ثقتي في كل كربة، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل عنه القريب والبعيد ويشمت به العدو وتعييني فيه الأمور أنزلته بك وشكوته إليك راغبا فيه عمن سواك ففرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حاجة ومنتهى كل رغبة، فلك الحمد كثيرا ولك المن فاضلا)** [الكافي ٥٧٨/٢] اللهم إن ما يجري بعينك، وكفانا أنه بعين الله.

باختصار أريد أن أتحدث[1] عن ما أرى أنه ينفعنا، الكلمات التي تجري على لساني لا أجدها تعبّر عن ما يجيش في القلب وعن ما أعرفه، لا أريد أن أتحدث حديثا عاطفيا بحتا، لا أظن أن هذا ينفع، بل من خلال الأحداث أسعى لأن أشير إلى ما يربطنا بأئمتنا سلام الله عليهم وما يربطنا بالتاريخ.

سوف أتحدث باختصار وأنت إن شاء الله متهيئ، فهذه الأحداث فارضة نفسها على العالم كله، ولابد أنك تعيشها ومتهيئ إن شاء الله، أرجو أن لا تقصُر كلماتي عن إيصال هذا الأمر إليك، فلو وصل الأمر إليك وذكرك كلامي بما هو موجود في قرارة نفسك هنالك أنت بكلّك تتحرك تسعى لنصرة الدين.

أي إنسان حينما يجد إنسانا يريد أن يكون حرا لا يريد أن يستسلم لغيره ويريد أن تكون نيته لنفسه وقراره لنفسه رغم كل المغريات والقيود، هذا الشخص لابد وأن تتفاعل معه النفوس، النفوس مخلوقة لكي تكون كذلك.

الأحداث لها وجهان..

لابد أنك رأيت الصور وسمعت ما يحدث، بيوت تدمّر على أصحابها، نساء وأطفال يموتون، حقد يهودي متجذر نراه متجسداً الآن، كل شيء مدمّر، الطرق تُقصف، مأساة تدمي القلوب وتُبكّي العيون، لكن هنالك شيئاً آخر أريد أن أشير

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (حفظه الله) بهذا الحديث في مسجد البلوش يوم الجمعة بين الصلاتين بتاريخ ٢٤ جمادى الثانية ١٤٢٧ الموافق ٢٠٠٦/٧/٢١م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

إليه وأنت في غنى عن أن أثير عواطفك، أنت مهتم ومؤمن وحتى إذا لم يذكّرك أحد بشيء لا بد وأن تتعاطف مع الأحداث، أشير إلى جانب أذكّرك به، أنت تعرفه لكنك بحاجة إلى تذكير فقط.

هنالك من يرى أن هذه المأساة لا معنى لها وهذه المعاناة لا فائدة منها، وهم الذين لا يعرفون من الحياة إلا هذا الوجه فقط حيث طلب الراحة والسعي للاستقرار وتحقيق الملذات هي الغاية القصوى، أما المعاناة فهي مرفوضة، بهذا المنطق نصح الحر بن يزيد الرياحي الإمام الحسين (ع) في مسيرته قبل أن يصل إلى كربلاء، أن القوم قاتِلوك، أحذّرك، استسلم وبايع وإلا قُتلت، انطلاقا من أن الحياة ليس لها إلا وجهٌ واحد، **وبهذا الوجه** تُقاس المواقف أنها نجحت أو فشلت، من خلال هذا الوجه يقيس هل أنه أصاب أم أخطأ.

لكن كان هناك وجه آخر يشير إلى عز وإلى شموخ وإلى دين، صحيح أنه يصيب العواطف وكمأساة تؤثّر كما ينقل في ليلة الحادي عشر من شهر محرم حينما حضرت زينب بنت علي (ع) على جسد الحسين (ع) أدمى الوضع قلبها وأبكاها فبكته كأخت، لكن ينقل أنها وضعت يديها تحت الجسد لترفعه: **اللهم تقبل منا هذا القربان**، هذا هو الوجه الآخر، لا يستطيع أن يراه إلا المؤمنون أصحاب البصائر، حينما سُئلَت كيف رأيتِ فعل الله بأخيك وأهلك؟ **(ما رأيت إلا جميلا)** [اللهوف في قتلى الطفوف ٩٤]، ترى وجوه الأطفال ذعرين، طفل فاقد أهله، تثور عواطفك فتتأذى وتتألم لكن ترى العز والشموخ فيصغر كل شي في نظرك.

حقيقة النصر..

أتحدث قليلا حسب فهمي عن النصر الديني، عادة حينما يقال فلان انتصر أو فئة انتصرت على فئة فينظر إلى النصر بمعنى الغلبة، فئة تغلب فئة أخرى، فيتمنى الغلبة للفئة التي هو مرتبط بها ومنتمٍ إليها بشكل من الأشكال، وإذا غلبوا هنا يرى أن أمنيته تحققت وأن النصر تحقق.

لكن حقيقة النصر الديني أعمق من هذا، لا توجد ملازمة بين تحقق ذلك النصر وبين الغلبة الظاهرية، قد لا تكون هنالك غلبة ظاهرية، وكثير من الأنبياء لم يغلبوا –حسب الظاهر– أعداء الله ولم ينتصروا بهذا المعنى، لكنهم في الحقيقة قد انتصروا، أريد أن أبيّنه.

الصراع بين الحق والباطل صراع قديم، وسيمتد إلى ظهور الحق واستيلائه على الأرض كلها، وأرجو أن ندرك ذلك العهد الأطيب الأطهر، في هذا الصراع تارة غَلب المؤمنون وتارة غُلبوا، في بدر المسلمون غَلبوا وفي أُحد المسلمين حسب الظاهر لم

ينتصروا. في ساحة الحرب الخارجية هذا الصراع يعبّر عنه القرآن الكريم بالدول (**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**) [آل عمران: ١٤٠] هذا صراع خارجي، هنالك صراع آخر وساحة حقيقية، تلك الساحة هي في النفوس، نفسي ونفسك ونفس أي إنسان آخر.

قرأت قصة رجل أرجنتيني اسمه جيفارا –معروف–، كان يريد أن يناهض الظلم في العالم كله فقُتل، في ذلك الوقت الناس –كثيرون منهم غير متدينين أو على أقل التقادير غير متدينين بالإسلام– في شتى بقاع العالم كانوا يحملون صوره، ومازالوا، ففي نفس كل إنسان خلق الله تعالى نزعة فطرية لكُرهِ الظالمين والابتعاد عنهم، وكذلك الحنين لمن يدفع الظلم أو لمن يبتغي الحرية ويبحث عنها، فهؤلاء يجدون في هذا النهوض صدى لما تطلبه نفوسهم بفطرتها، قد أكون ضعيفا وقد أتخاذل لكن في قرارة نفسي مازلت لم أهبط إلى درجة الاستسلام والرضوخ المطلق للدنيا وأئمة الدنيا، مازال يوجد شيء في قرارة نفسي يدفعني ويقول لي أنت حر، أنت تستطيع أن تقول "**لا**" للعالم الضال الظالم مهما كان الثمن.

الله عز وجل هو السند..

الآن أنت أيها الإنسان المؤمن، إذا تراجع نفسك سوف تكتشف أنه يوجد في قرارة نفسك شيء هو الذي يفترض أن يربطك بالتاريخ وبالحسين (ع) وبالأئمة والأنبياء (ع)، لا فقط تبحث عن حرية مبتورة، لو راجعت وضعك ودققت فيه تجد أن هذه الحرية لا يمكن أن تكون إلا بالاستناد، فالإنسان مخلوق لأن يستند وهنالك يستطيع أن يكون حرا ويجد هذه الحرية ويجد شخصيته، وإلا يتكلف.

ذلك السند هو الله عز وجل، ذكر الله مغروز في نفسك، جربت حينما بصدق تذكر الله عز وجل تجد نفسك كبُرت، تجد نفسك قويَت فأصبحت لا تؤثر فيك كثير من الأشياء التي كانت تؤثر فيك، ذلك لأنك وجدت السند في داخل نفسك، أنت بذكرك لله عز وجل نصرت الله فالله نصرك (**إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**) [محمد: ٧] فالله عز وجل موجود في نفسك، ينصرك، تنصر وجه الله عز وجل فتنتصر، أئمتنا (ع) بتاريخهم وحياتهم استطاعوا أن يوجِدوا لنا هذا السند.

ابدأ من الآن، سوف تكتشف وتجد أن العالم دائما كذلك، أن الكفر ملة واحدة وأن له إمامة ويدعوك، يدعوك لأن تذل وتستسلم لتستهدف الحياة فقط، لأن تكبّر الدنيا، فالإنسان بالتدريج يتنازل عما هو في قرارة نفسه والذي يجعله يرفض هذا الوضع فَيَصل إلى مرحلة حتى انتماءاته الدينية يُسخّرها لهذه الغاية، غاية الدنيا، فيصبح الدين لغوا على لسانه، يصلي بخشوع لكن (**فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون**) [تحف العقول ٢٤٥]، تكتشف في قرارة نفسك نزعة تقول لك انهض ولا تخضع، إنّا لله وحده، لا تكبر إلا الله وحده، لا تشرك بالله، الله أكبر، هذا موجود في قرارة نفسك، اكتشفه ونمّه، الإنسان الذي يريد أن

يتحرر مستندا إلى ربه لا يستسلم، هنالك إذا وجدت هذا تجد أن العالم يريد أن يسلب منك أساس هذه الكرامة وهو أن لا تكبّر إلا الله.

تقول (الله أكبر) من دون أن يظهر هذا في حياتك، هذا ما يسعى إليه العالم الآن، لكن بالاستناد إلى الله عز وجل وإلى وجه الله تستطيع أن تجد هذا وتشعر به، فتريد أن تكبر الله بأي ثمن، أمير المؤمنين (ع) حينما ضُرب على رأسه الشريف يُنقل أنه قال كلمته المعروفة: **فزت ورب الكعبة**، بثمن دمي كبّرت الله ولم أستسلم إلا لله وحده، بالتدريج إذا انكشف لك هذا وإذا اهتممت بنفسك ستجد أن العالم في صراع معك ومع الآخرين الذين يريدون أن لا يُفتَنون، فتعرف أن هنالك ساحة صراع.

نفسك هي ساحة الصراع..

هنا تشعر بمعاناة شديدة، إلهي أريد أن أكون عبدا لك وحدك، أريد أن أكون عبدا لك وحدك كرسول الله (ص)، وأريد أن أكون عبدا لك وحدك كأمير المؤمنين (ع)، وأريد أن أكون عبدا لك وحدك كالأنبياء وكالأئمة (ع)، وأريد أن أكون عبدا لك كمالك الأشتر وكعمّار، إلهي كل شيء يوحي إليّ أن أكون عبد الأشياء والناس، كل شيء يقول لي استسلم، كل شيء يوحي إليّ أنه فكّر كما يُفكر الناس فمقاييس الناس لا غبار عليها! يوحي إليّ أنه فكّر وفق مقاييس الناس وتديّن وفق مقاييس الناس! إلهي متى نصر الله؟ أنا بحاجة إلى انتصار، انصرني.

هنالك سوف تبحث وتتطلع لأي صوت تجده يقول أنا أنصرك، أنت لست وحدك، أنا أكبر الله في نفسك، انظر إليّ أنا كبرت الله وتحررت من عبودية الناس وعبودية الأشياء، خضعت لله وحده، فهنا هذا الصوت هذا المنظر يدخل قلبك، هنا قطعا سوف تجد وتتمنى أن تفدي صاحب هذا الصوت بكل ما لديك، هنا تدعو إلهي هذا الصوت لا تدعه يخمد، إلهي أعلِ هذا الصوت، إلهي اجعله يرتفع أكثر، أنا والناس المستضعفون بحاجة إلى هذا الصوت، إلهي لولا هذا الصوت لاستسلمت وأصبحت كالناس أكثرهم كالأنعام.

هذه ساحة صراع وساحة معركة، حيث في ساحة نفسك يوجد مؤمنون يقولون الله أكبر، ويوجد أناس آخرون حقيقتهم يقولون الدنيا وشهوات العالم أكبر، استسلم. هنالك بصدق تجد في نفسك صدى صوت الإمام الحسين (ع)، تتذكر منطق زينب (ع) (**ما رأيت إلا جميلا**)، تلمس هذا الشموخ فتشعر باعتزاز، نعم تشعر بألم ويتفتت قلبك ويعتصر ألما لكن في نفس الوقت تشعر باعتزاز، نحن أتباع الإمام الحسين (ع)، نحن أتباع أمير المؤمنين (ع)، أيها الناس تعالوا إلى هذا الدين الذي لا تُعرف قيمته **إلا بالإمامة**.

فهل سعيت لأن تعرف الإمامة التي تعطي هذه القوة وهذا الشموخ وهذا العز؟ هل حاولت أن تعرف الإمامة؟ تعرف الحسين (ع)؟ وصادقا تقول (معك معك)، هنا تجد أنك أنت معه لا فقط بلسانك. هذا هو الوجه الآخر وأرجو أن لا نلتهي عن هذا الوجه، ويجب أن يكون التركيز على هذا الوجه لا الوجه الذي يركز عليه الناس ويقيسون الأشياء على أساسه، فحسب تاريخنا لو كانت الأمور تقاس بذلك المقياس وبذلك الوجه، فأئمتنا (ع) لم ينجحوا أبدا، بل بلحاظ الوجه الآخر الذي أشرت إليه نجحوا النجاح المطلق وفازوا والله فوزا عظيما.

أكرر لم أكن مستعدا لأن أتحدث، في الواقع أن الأحداث وتشابك المسائل أكبر من أن أنا أستطيع أن أوفي حقها، لكن مع ذلك ذكّرتكم بهذا وأرجو أن يجعل الله في هذا الحديث نفعا للدين ولكم، ويجعلنا مع الصالحين.

والحمد لله رب العالمين